الدكتور حازم الحاج طه



حظيت الدراسات اللغوية منذ عصور مبكرة بعناية الغيارى على اللغة العربية. والحريصين على حفظها وسلامتها، والطامحين الى استنباط مكنون فوائدها ودقائق معانيها. فجاهدوا في سبيل ذلك اصدق الجهاد وأروعه. وأبلوا خير البلاء وأحسنه، فأتت جهودهم أكلها، وأينعت ثمارها، ودنت قطوفها. وكان من جملة هذه الدراسات ظاهرة ثنائية الالفاظ وثلاثيتها التي عني بها حذاق اللغويين قدامى ومحدثين. اذ استبان لهم وجود الفاظ مشتركة في حرفين وفي معنى عام يجمع مابينهما، ويربط بعضها ببعض، فحرصوا اشد الحرص وغايته على الوقوف عند نشأة هذه الالفاظ، وهل لهذه المشاركة في عدد من الحروف، وفي المعنى العام العام صلة وثيقة في نشأتها؟.

وقبل ان ابين هذا الامر على وجه التفصيل لابد لي من الاشارة الى أن من أدق المباحث اللغوية، وأشدها استعصاء، وأبعدها غورا موضوع البحث عن مبدأ اللغة العربية وأطوارها. لان العربية التي ورثناها لم تكن معرفتنا بها معرفة دقيقة تتعدى الاسلام كثيرا من الناحية الزمنية، فإن اي بحث عن نشأتها وتاريخها الموغل في القدم يعد ضربا من التخمين تارة. ويخضع لكثير من الفروض والنظريات تارة أخرى. وتزداد المسألة تعقيداً كلما اضطربت الاراء، واختلفت وجهات النظر فتغدو. ظاهرة تاريخية كظاهرة ثنائية الالفاظ وثلاثيتها من الظواهر التي لايستطيع الباحث ان يحكم في اصل نشأتها حكما فاصلا. ويجزم

جزما قاطعا مبنيا على برهان علمي ساطع، ويستند الى دليل قاطع لايشوبه ريب.
وموضوع الوضع الأول لحروف اللغة العربية من حيث الثنائية أو الثلاثية من تلك المباحث التي تخضع لهذه الاعتبارات التي بيناها آنفا ولا تخلو من غموض وابهام وتشعب في الاراء والمباحث...

وها أنا ذا أورد بعض الامثلة التي تجلي هذه الظاهرة كي يستبين المنحى الذي نحته تلك الالفاظ:

(أ) أمثلة التذليل

١) فالالفاظ: قطب، قطع، قطف، قطل، قطم: تشترك في الحرفين (القاف والطاء)، وفي المعنى العام وهو(الفصل).

٢) والالفاظ: جذب، جذر، جذل، جذم: تشترك في الحرفين(الجيم والذال)، وفي المعنى العام وهو (الاصل).

٣) والالفاظ: نفث، نفج، نفح، نفخ، نفد، نفذ، نفس، نفش: تشترك في الحرفين(النون والفاء)، وفي المعنى العام وهو(الخروج والانتقال).

٤) والالفاظ: حجب، حجر، حجز، حجم، تشترك في الحرفين(الحاء والجيم) وفي المعنى العام وهو(الحجز والمنع).

وانت اذا تدبرت هذه الأمثلة وجدت الحرف المزيد واقعا في آخر اللفظة. ويسمى تذييلا، وهذا هو الاكثر ورودا.

(ب) أمثلة التصدير

وقد يقع الحرف الزائد في صدر اللفظة ويسمى تصديرا، مثل:

١) الالفاظ: بهر، صهر، سهر، شهر، ظهر، قهر، مهر، نهر: تشترك في الحرفين (الهاء والراء)، وفي المعنى العام وهو(الوضوح والظهور).

(ج) أمثلة الحشو

وقد يقع الحرف الزائد وسط اللفظة، ويسمى حشوا، مثل:

١) الالفاظ: رسم، وشم، وصم، وضم: تشترك في الحرفين(الواو والميم) وفي المعنى العام وهو(الاتصاف).

والامثلة في ذلك اكثر من ان تحصى. وما اوردناه يشعر باشتراك عدد من الالفاظ في حرفين. وفي معنى عام يجمعها. وهذه الظاهرة هي التي لفتت انظار اعلام الباحثين من قدامى ومحدثين.

ولابد لنا من بيان آراء مختلف العلماء الذين أبدوا رأيا في هذه الظاهرة بادئين بأولئك الذين فتحوا ابواب هذه الدراسات وأصلوها وأثاروا في أذهان الذين جاءوا من بعدهم أسئلة وآراء متنوعة.

١. الخليل بن احمد الفراهيدي

لو تدبر ناظر في مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ ﻫ لوجد اشارة الى الثنائية. فنراه يقول (والمضاعف في البيان: ماكان حرفا عجزه مثل حرفي صدره، وذلك بناء يستحسنه العرب فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ماجاء من الصحيح والمعتل. ومن الذلق والشفوية والصتم. وينسب الى ذلك الثنائي لانه يضاعفه. ألا ترى الحكاية ان الحاكي يحكي صلصلة اللجام فيقول: صلصل اللجام، وان شاء قال: صل، مخففة مرة اكتفاء بها، وان شاء أعادها مرتين او أكثر من ذلك فيقول: صل صل. يتكلف من ذلك مابدا له).(١)

فهو يربط بين ظاهرة الثنائية وبين النظرية الطبيعية في نشأة اللغة تلك النظرية التي ترى أن اللغة نشأت محاكاة لاصوات الطبيعة، كما أنه يشير الى الاصلين اللذين نشأت عليهما اللغة أول مانشأت وبنيت عليهما في مراحلها الاولى بدليل قوله)(صل).

---

(١) الفراهيدي-الخليل بن أحمد، كتاب العين، ١/٦٢.

وقد علق الدكتور ابراهيم السامرائي على ماذكره الخليل قائلا: (في هذه الملاحظة اشارة واضحة الى القيمة التأريخية للاصل الثنائي الذي بنى منه المعربون الثلاثي ثم الرباعي المضاعف).(١)وهذا ماوجدناه في معجمه فقد ابتدأ ترتيبه بالثنائي واول كلمة تناولها فيه هي (عق) وآخرها هي (مع).(٢).

٢.ابن دريد

أما ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ، فهو من أولئك الذين عدوا المضعف الثلاثي ثنائيا ويدل عليه قوله(الثنائي الصحيح لايكون حرفين البتة الا والثاني ثقيل (أي مضعف) حتى يصير ثلاثة أحرف اللفظ الثنائي والمعنى ثلاثي،وانما سمي ثنائيا للفظة وصورته.فاذا صرت الى المعنى والحقيقة كان الحرف الاول أحد الحروف المعجمة.والثاني حرفين مثلين أحدهما مدغم في الآخر نحو «بت يبت بتا» في معنى قطع .وكان أصله(بتت) فادغموا التاء في التاء فقالوا (بت)،وأصل وزن الكلمة(فعل)وهو ثلاثة أحرف فلما مازجها الادغام رجعت الى حرفين في اللفظ فقالوا(بت) فأدغمت احدى التائين في الاخرى، وكذلك كل ماأشبهها من الحروف المعجمة)(٣)فهو يضع حدا للمضعف ويجعل ظاهرة الثنائية قائمة على الصورة الصوتية للفظة وعلى رسم تلك اللفظة والدليل على ذلك قوله آنفا(وانما سمي ثنائيا للفظة وصورته).

٣. ابن فارس

وصرح ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ في معجمه بأن الالفاظ الثلاثية ترجع الى أصل ثنائي وضرب لذلك أمثالا منها أن أصل باب (القاف والطاء) ومايثلثهما يرجع الى معنى(القطع)فيراه في (قط) الذي يدل على صرم وابانة شيء من شيء،

(١) السامرائي—الدكتور ابراهيم ،تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ص ١٨٤ .
(٢) الفراهيدي—الخليل بن أحمد، كتاب العين، ١/٦٨، ١٠٨.
(٣) أبن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الجمهرة، ١/١٣.

وفي (قطف) الذي يدل على أخذ ثمرة من شجرة،وفي(قطل)الذي يدل على قطع الشيء،وفي (قطم)الذي يدل على قطع الشيء ايضا.فالعين والفاء واللام والميم وردت حروفا زائدة على الاصل الثنائي(قط) فخصصت معنى القطع،ونوعته حسب مايتطلبه المقام.فإن أردنا ابانة شيء من شيء وفصله عنه أضيفت (العين) فصار الفعل(قطع)،وان أردنا أخذ شيء من آخر دون معاناة كأخذ وردة من غصنها أضيفت (الفاء) فصار الفعل)قطف.(١)

٤. الاصفهاني

ولقد لفت الأب أنستاس الكرملي الانظار في كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها)،الى ماذهب اليه الراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ في مؤلفه (غريب القرآن) وهو اعتبار الحرف المضعف في آخر الكلمة حرفا واحدا فقال:(وممن قال به ولم يحد عنه قيد شعرة الاصفهاني صاحب كتاب غريب القرآن،فانه بنى معجمه الجليل على اعتبار المضاعف هجاء واحدا ولم يبال تكرار حرفه الاخير فهو عنده من وضع الخيال.لا من وضع العلم والتحقيق،أي انه اذا أراد ذكر (مد يمد مدا) مثلا في سفره،ذكرها كأنها مركبة من مادة (مد) أي ميم ودال ساكنة.ولا يلتفت أبدا الى أنها من ثلاثة أحرف. اي (مدد) كما يفعل سائر اللغويين .ولهذا السبب عينه يذكر (مد) قبل (مدح) مثلا .ولا يقدم هذه على تلك على مانشاهده في معظم معاجم اللغة كالقاموس،ولسان العرب .وأساس البلاغة،وتاج العروس وغيرها).(٢)

٥. الاب انستاس الكرملي

ويرى الأب الكرملي ان اللغة قد وضعت في الأصل على حرفين متحرك فساكن وأن الحرف الثالث قد نشأ بعد ذلك نتيجة لتصرف في المتكلم المبني على اختلاف المكان والزمان.فيقول: (اللغويون على فريقين متعادلين على سرر

(١) مقاييس اللغة،٥/١٠١-١٠٣،وانظر الصالح-الدكتور صبحي،دراسات في فقه اللغة،١٥٦.
(٢) ص ٢.

موضوعة: فريق يذهب الى ان الكلم، وضعت في أول أمرها على هجاء واحد: متحرك فساكن، محاكاة لاصوات الطبيعة ثم فئمت (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر او القلب أو الطرف). فتصرف المتكلمون بها تصرفا، يختلف باختلاف البلاد، والقبائل والبيئات. وفريق يقول: ان الكلم وضعت في أول نشوئها على ثلاثة احرف بهجاء واحد او بهجائين. ثم جرى عليها المتكلمون بها على حد ماتقدمت الاشارة اليه.

على اننا اتبعنا الرأي الاول. منذ ان أولعنا بهذه اللغة المبينة الرائعة، فأخذنا بنشره وتفصيل دقائقه منذ سنة ١٨٨١، ولا ننفك نصرح به الى يومنا هذا دون ماملل ولا وجل. نبوح به على رؤوس الملأ أو نجهر به في المجالس أو ندافع عنه في المجامع أو ندعمه في الأندية).(١)

وقال كذلك داعما رأيه في مقالة(أصول الكلم وتراكيب حروفها). (ان أول ماوضعت عليه اصول هذه اللغة، كان يتقوم من حرفين، ثم كسع (٢) بحرف ثالث للتثبت من تحقيق لفظ الحرف الثاني من الكلمة. ومنذ ذلك الحين بنيت كل لفظة عربية على ثلاثة احرف. وأصبحت لها كالأثافي وعليها أحكم وضع أصولها، وما زيد على ذلك القدر من الاحرف ألحق بها لغايات شتى، يذكرها علماء العربية في مطاوى مباحثهم).(٣)

٦. جورجي زيدان

وممن خاض في هذا الموضع جورجي زيدان. وقد نحا فيه منحى خاصا إذ بنى نشوء الثلاثي على ظاهرة النحت المعروفة في اللغة العربية. فهو يرجع اللفظة الثلاثية الى اصلين ثنائيين ثم تنحت منهما اللفظة الثلاثية بعد ذلك اذ يقول في نحو (قطف) ويفيد القطع والجمع. والاصل فيه على ماأرى(قط لف) الاولى قطع، والثانية جمع، وبالاستعمال أهملت اللام ونقلت حركتها الى ماقبلها فصارت

(١) الكرملي، الأب أنستاس: نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ص٢٠١.
(٢) كسع: ذيل.
(٣) الكرملي: الاب أنستاس، نشوء اللغة العربية ونموها واكتاالها، ص١٠٧.

(قطف) .و(قش)أي جمع ماعلى الارض من فتات،فانها ترد الى اصلين(قم قش) ،الاول بمعنى(كنس)،والثاني(جمع)فكانوا اذا أرادوا كنس شيء ما وجمعه قالوا(قم قش)وبالتخفيف الغيت(القاف الوسطى)فقيل(قمش).(١)

على اننا نرى ان رأي زيدان ليس من بنات أفكاره،وانما سبقه اليه علماء اللغة القدامى،فمن أولئك ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة،فقد قال:(اعلم ان للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق.وذلك ان اكثر ماتراه منه منحوت،ومعنى النحت ان تؤخذ كلمتان وينحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ....ومن ذلك(بحثرت)الشيء،اذا(بددته).و(البحثرة) الكدر في الماء،وهذه-أي لفظة بحثر-منحوتة من كلمتين:من(بحثت)الشيء في التراب،ومن(البثر)الذي يظهر على البدن).(٢)فاللفظة(بحثر)اذن مولدة عن طريق النحت،ولكن زيدان لم يأخذ بنظرية علماء اللغة القدامى على اطلاقها، وانما حصر ذلك النحت في الثلاثي مجافياً لنظرية القدامى حسب تفصيلها السابق. ورأيه في ارجاع الكلمة الثلاثية الى اصلين ثنائيين يصح ان كان لكل منهما معنى في نفسه.(واذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه،فلا يخلو ان يكون لاحدهما اولا فأن كان الاول أحد اللفظين فعلا والآخر حرفا زيد اعتباطا وهو في الغالب أحد هذه(ل م ن ر)ربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئا من المبالغة او تنويع الفعل بما يطابق قصده نحو فض،ورفض،وهب،ولهب، وكن،وسكن.واذا لم يكن لاحدهما-أي الاصلين-معنى في نفسه أي أن لايكون اسما ولا فعلا فلا يخلو ان يكون حرفاً(وربما كان اسما او فعلا في الاصل ولم يعد مميزاً الان.ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية نقدمها مثالا:من ينظر في لفظة(مال)بمعنى مقتنيات لايخطر له الا انها اصل مستقل. ولكنها في الواقع مركبة من(ما)الموصولة،و(لام الاضافة)وكانوا يريدون بقولهم

(١) زيدان: جورجي، الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ص ٥٨.

(٢) ١/٣٢٨-٣٢٩، ٣٣٠.

(مالك)الذي لك أي مالك ومقتنياتك.ومثل لفظة (ويل)فأن اصلها(وى مع لام الاضافة)وأصلها(ويلي).....وهكذا يقال في الفعل الناقص(ليس)الذي هو بحسب الظاهر أصل مستقل فأنه مركب من(لا)حرف نفي،و(أيس)الدال على الكون المطلق في بعض اللغات السامية فأدغمتا معاً وكونتا كلمة واحدة).(١)

وهذا المنحى وان تجلى في بعض الأمثلة،فلا ينهض متكأ لبناء أحكام عامة. فالامور اللغوية يجب أن تتحقق في مواد كثيرة من اللغة،بحيث يتحقق لدى الباحثين معنى الاستقراء.ويستطيع أن يثبت الوجهة التي ارتآها بما بدا له من الفاظ تحقق فيها هذا الغرض.

٧.الاب مرمرجي الدومنكي

وقد عقد الأب مرمرجي موازنات بين المضعف الثلاثي في اللغة العربية،وما يقابله في السريانية. فاستبان له أن هذا المضعف لا يقابله في السريانية،الا حرفان (مثلا مقابل:(مص=مص،وبحذاء صم=صم،وبازاء مس=مس.وهكذا كل المضاعفات التي هي بالحقيقة ثنائيات،والثنائي وارد في كل الساميات. متصفاً بمعنى حقيقي وتام).(٢)

وقد أورد عدداً من الأدلة معززاً رأيه.منها:(ما صاغه العلماء من الأفعال المضاعفة والمكررة مستخرجين عناصره الأولية من أسماء الأصوات، ودعاء الحيوانات،وزجرها،وبعض أسماء الأفعال،فهي جميعاً ثنائية.فمثلا:أف كلمة تكره.بخ لاستعظام الشيء.صع:اسم صوت يزجر به الجمل عند ترويضه. صه:أمر بالسكوت.مه:أمر بالكف.فمن هذه الثنائيات صيغت أفعال اما بتحريك الساكن وتشديده،واما بتكرار الثنائي ذاته وتحريك الآخر،فقيل:أف،بخ، صع. صهصه. مهمه).(٣)

---

(١) زيدان،جورجي،الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ص ٦٠.

(٢) من كلمة ألقاها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص٨،نقلا عن الصالح،الدكتور صبحي، دراسات في فقه اللغة،ص١٥٥.

(٣) المصدر نفسه

وقد أشار الى هذه الأصول التي ترجع اليها الألفاظ العلامة طه الراوي فقال: (والذي يتقرى كلم اللغة العربية بانعام نظر يجد أن لمعظم موادها أصلا يرجع اليه كثير من كلماته ان لم نقل كلها، خذ على ذلك مثلا مادة(فل)وما يثلثها، تجد الجميع يدور حول معنى الشق والفتح مثل: فلح، فلج، فلع، فلق، فلد، فلى. ومثل ذلك مادة(قط)وما يثلثها تقول: قط، قطع، قطر، قطف، قطن، وكلها بمعنى الانفصال).(١)

وأورد الأستاذ سعيد الافغاني في مؤلفه رأيا لمحدث آخر(٢)يبين أن(الهمزة والباء مدلولهما النفور والبعد والانفصال بين الشيئين:

١.أب للسير: تهيأ له.
٢.أبت اليوم:أشتد حره فقطع الناس عن أعمالهم.
٣.أبد الوحش: نفر.
٤.ابر النخل:قطع منها شيئاً.
٥.أبز الضبي: وثب وانطلق.
٦.أبق العبد: نفر عن مولاه.
٧.أبل: توحش
٨.أبه عن الشيء: تنزه عنه.
٩.أبى عن الضيم: فر عنه)(٣)

وهو لم يخرج عما ذكره من قبله من الباحثين في اشتراك كثير من الألفاظ بمعنى واحد بعد اتفاقهما في أصلين.

وأنت اذا أمعنت النظر في الآراء والأمثلة السالفة الذكر، تجلى لك ما ذهبوا اليه، وهو أن الألفاظ التي تشترك في حرفين، وفي معنى عام يربط بعضها ببعض كانت في أصلها ثنائية المقطع، ثم دعت الحاجة بعد ذلك الى أن تكون ثلاثية،

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣/٢٢٠، وانظر الافغاني سعيد، في أصول النحو، ١٢٥.
(٢) لم يذكر أسمه.
(٣) الافغاني : سعيد، في اصول النحو، ص ١٢٥.

فكانت زيادة المبنى مقرونة بزيادة المعنى مع تخصص جزئي في معاني تلك الالفاظ الثلاثة التي اتحدت في المعنى العام الذي تدور عليه مادتها. واختلفت في صورة الحرف الأخير الثالث منها.

٨.عبدالله العلايلي

وقد ذهب اللغوي المعاصر عبدالله العلايلي مذهباً فيه اختلاف غير يسير عمن سبقوه فقد رأى أن يرد الى المعلات أكثر الثنائيات،وأن يفسر نشأة الثلاثي من الثنائي بوساطة تلك المعلات.يقول:(وكيفما كان الامر،فحديثنا الآن عن تأكيد أن الثلاثي نشأ عن الثنائي،وأن كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً،وهذه الثنائيات التي نظنها هي المعلات،وهذه المعلات المحفوظة في شتى المعاجم،يجب أن نتخذها عمدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجهه،لانها الاصل الذيانفصل عنه،ولم يكن عمل التصحيح الا ضرباً من اقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثي،فالواوي منها ينظر الى الضمة الممدودة، والياثي الى الكسرة، كذلك ومن ثم يتأيد ما ذهبنا اليه منأن هذه الحركات تراد لمعان بعينها في العهد الصوتي،ثم تصححت كل حركة بحرف من جنسها بعد أن أتخذت العربية وحدتها في الثلاثي.

ونستطيع أن نقول من بعد هذا،ان مطلق الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورةالتي عليها المعلات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان أن محله الوسط)(١).

واني لاؤيد الدكتور الصالح فيما ذهب اليه من أن العلايلي قد اضطر الى التكلف في تطبيق رأيه على بعض الامثلة،فجعل(عبل)مأخوذة من(علا)المعتلة، وأصلها(عل)،أما الياء فهي عين الكلمة مكوفة بالفاء واللام،كأنهما سياج لها، فسلمت من الحذف مع أنها هي الحرف المحشو المزيد،وبذل الحرف المعتل للعوارض حتى حذف،فكأن حرف الباء الصحيح المحشو تعويض عن حرف

(١) العلايلي : عبد الله،مقدمة لدرس لغة العرب،٢٠٣

العلة الساقط المحذوف.ولو أسقطنا حرف الباء المزيد—قياساً على سقوط الحرف المعتل—لظهرت لنا الكلمة الثلاثية على صورتها الثنائية الحقيقية،فاذا هي(عل) فقط .فأي جامع يجمعها بعد هذا بهاتين المادتين(عبث وعبد)وما أشبههما من المواد التي تتوسطها الباء؟ان(عبث)تعود الى(عث)وصورتها المعتلة(عثأ)أما(عبد) فتعود الى(عد)وصورتها المعتلة(عدا).وإنما رمينا هذه النظرية بالتكلف،لان تطبيقها العملي لا يتم—كما رأيت في المثال—الا بتجريد حرف الوسط ثم تناول المادة ومعها المعلات التي وقع فيها الحرفان على ترتيبهما،مع أن تجريد مادة ما من حرف الوسط،انما يكون بمنزلة الحذف والاسقاط،لذلك الحرف المحشو فكيف يسلخ من بنية المادة لا يتجزأ منها،تظل هذه المادة معبرة—دونه—عن غرضها تعبيراً دقيقاً كاملا؟!)(٢)

ولعلنا بعد ما سقنا من الآراء اتضح لنا جلياً الخلاف في هذه الظاهرة اللغوية،

واني لامتح مع الماتحين لعلني أسهم في خدمة اللغة العربية،فأقول دون أن أعد رأيي هنا نهائياً لا يقبل النقاش والمراجعة،وعلى هذا أحصره فيما يأتي:

أولا: ان الثنائية قد تبدو أكثر قبولا،لان ابتداء اللغة بألفاظ ذات أصوات قليلة يبدو شيئاً معقولا،ثم تطورت تلك الالفاظ من حيث عدد أصواتها تبعاً لتطور الانسان اجتماعياً وفكرياً،فيحتاج الى ألفاظ متطورة الأصوات تطور حياته نفسها ليتحقق له عن طريقها التعبير عن حاجاته الحسية والمعنوية،وعلى هذا فلا يستبعد أن تكون اللغة قد بدأت بأقل الالفاظ أصواتاً، أي بألفاظ ذات حرفين أولا مثل(قط)بسون الطاء،ثم تطورت بعد ذلك الى أخرى ثلاثية،مثل(قط)قطع،قطف...الخ).

ثانياً: ان الاستطالة في صيغ الالفاظ والنمو فيها أمر لا يبعد عن الفكر، وخاصة ان الاستقراء اللغوي دل على ان العربية عرفت صيغاً متطورة عن أخرى في الاسماء والافعال فلفظة (مكلوت) مثلا وهي ، اسم متطورة من لفظة

---

(٢) الصالح—الدكتور صبحي،دراسات في فقه اللغة،ص ١٦٣.

(ملك)والزيادة الصوتية التي في لفظة(ملكوت)،تقترن بزيادة معنوية،لان (الملكوت)أبلغ وأوسع من الملك،ويشعر بذلك قوله تعالى(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين).(١)والامر كذلك في الأفعال فلا خلاف في أن الثلاثي يأتي منه المزيد ليدل على معان أخرى غير منقطعة الوشيجة بالفعل الاصلي الثلاثي.فالفعل الثلاثي(كبر) تولد منه كبر، وأكبر،واستكبر،وتكبر،وكابر....وكلها صيغ جديدة متولدة عن الصيغة الاولى الثلاثية،وقد أوجدتها ودعت الى اشتقاقها حاجة المتكلم كلما جد له معنى من المعاني،أو غرض من الأغراض.

وعلى هذا فلا يبعد أن تكون اللغة العربية قد بدأت بالصيغة الثنائية،ثم تطورت بعد ذلك حسب الحاجة الى أخرى ثلاثية فرباعية...على أن القول بثنائية اللغة قد يوحي لنا بشيء آخر،وهو أن اللغة لم تكن في أصولها الاولى معربة،لان القول بثنائية اللغة يعني الوقوف على اللفظة بالسكون لتتحقق الثنائية.فاللفظة تتألف من حرفين:متحرك فساكن،والسكون اذا كان ظاهرة مطردة فإنه يعني عدم الأعراب..فهذا امر آخر يولده لنا القول بالثنائية،والذي يبدو هو أن الإعراب ليس ظاهرة بدائية،بل انه ليبدو ظاهرة حضارية،ووجها لتطور الامة العقلي،فكأنه من مظاهر استكمال اللغة لتطورها وأدائها للحالات الذهنية المختلفة،وبعبارة أدق أن الاعراب في اللغة العربية يبدو أنه كان مسبوقاً بحالة لا اعرابية...ويدعم هذا ان ترك الاعراب يعد عندنا في عصرنا الحاضر حالة من حالات النكوص اللغوي،وظاهرة من ظواهر العامية،والعامية ليست حالة من حالات رقي اللغة كما هو معلوم،بل هي وجه من وجوه تأخرها والعامية تقف على الكلمات بالسكون لانه على السنة الناطقين بها أيسر،فشأنها من هذه الناحية شأن اللغة في مهدها اذ ليس من المعقول أن تبدأ اللغة بما هو صعب في مراحلها الاولى–وهو الاعراب–وخاصة أن الاعراب كما بينا يعد وجهاً

(١) سورة الانعام،آية ٧٥.

حضارياً، ومظهراً لتقدم الامة العقلي لا تأخرها، ويقوى هذا اننا نعلم أن ثمة من يرى أن العربية (فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ملتزماً بضوابط الاعراب، ولغة أخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط)(١) فالاعراب اذن سمة من سمات رقي اللغة وتقدمها وتطورها، لان لغة الكتابة الفصحى أرقى من لغة التخاطب اليومية الاعتيادية حتى في عصور الفصاحة. فهذا كله يشعرنا بأن اللغة بدأت في أصولها الأولى غير معربة، ويمكن أن يوحي لنا أيضاً بأن ثنائية الالفاظ سابقة لثلاثيتها، ولعل هذا الرأي يجد تعزيزاً من النظرية الطبيعية التي ترى ان اللغة نشأت محاكاة لاصوات الطبيعة، لان هذه المحاكاة يمكن أن تتحقق بأقل الالفاظ أصواتاً وهي الالفاظ الثنائية، مثل قط، وشط، وغيرهما، اذ أن الجرس هو الذي يحقق هذه المحاكاة، وهو ممكن التحقق عن طريق الالفاظ الثنائية وحدها.

وبعد،

فهذه آراء اللغويين قدامى ومحدثين في ظاهرة ثنائية الالفاظ وثلاثيتها انتقيتها وأضفت اليها ما تراءى لي في هذا البحث الشائك، وأرجو أن أكون قد حققت ما صبوت اليه.

---

(١) السامرائي - الدكتور ابراهيم - فقه اللغة المقارن، ص ٢٢.

المصادر

١)ابن فارس: ابو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا—معجم مقاييس اللغة. دار أحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي. الطبعة الاولى ١٣٦٦ه بالقاهرة. بتحقيق وضبط عبدالسلام هارون.

٢)الازدي: أبو بكر بن حسن الازدي البصري—جمهرة اللغة، الناشر مكتبة المثنى.

٣)الفراهيدي: الخليل بن أحمد—كتاب العين، تحقيق الدكتور عبدالله درويش. مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ—١٩٦٧م.

المراجع

١)زيدان جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية، الطبعة الثانية، ١٩٤٠ م.

٢)السامرائي: ابراهيم السامرائي، تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، مطبعة الجبلاوي بالقاهرة ١٩٧٣م.

٣)السامرائي: ابراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن. دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨

بيروت، الطبعة الثالثة.

٥)العلايلي: عبدالله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب.

٦)الكرملي: الأب انستاس الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها—المطبعة العصرية بالقاهرة، ١٩٣٨م.